مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 07 (02) جوان 2023 ص ص 873-889

التداولية وتحليل الخطاب
قراءة في كرونولوجيا المفهوم ومرجعيات التشكل المعرفي والفلسفي

Délibérant and discourse analysis
A reading of the chronology of the concept and the references of intellectual and philosophical formation

عواس الوردي[1*] ؛ كمال طاهير[2]

[1] جامعة عباس لغرور خنشلة (الجزائر)

البريد الالكتروني: dodo.wardi40@gmail.com

[2] جامعة عباس لغرور خنشلة (الجزائر)

البريدي الالكتروني: katahir05@hotmail.fr

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2022/12/9	2023/03/09	2023/06/01

الملخص: نسعى من خلال هذه الورقة البحثية لإبراز مفهوم التداولية كفعل لغوي تعددت واختلفت مرجعيات تشكله بين الأصول الفلسفية والمعرفية لبناء نظرية لسانية تصور اللغة كممارسة خطابية لها آلياتها ووظائفها داخل النظام اللغوي، ولتحقيق هدفنا تتبعنا منهجية الوصف والتحليل لفهم مسألة تشكل هذا الاتجاه التداولي من خلال ربطه بدور الفلسفة التحليلية مرورا بالفلسفة البرغماتية وسعيها في مقاربة اللفظ ومعناه النفعي، ومحاولة معرفة دورهما الفعّال في تقديم الإضافة للدرس التداولي في عملية مقاربة وتحليل الخطاب داخل المنجز اللغوي، وكل ما يحيط به من سياقات وفضاءات معرفية أسهمت في تطوير الدرس اللغوي الحديث.

الكلمات المفتاحية: *اللغة، اللسانيات، التداولية، تحليل الخطاب، المرجعيات.*

Abstract :According to this research parer we try to improve the délibérative's term as a languagical verb which IS based on differnet and many backs between phylosophical and knowladgeable arigins to build a linguistic theory and WE Can Say that the language IS speech prctices which has its fonctions and its mechanusms into language system; in order to investigate our purpose We followed the descriptive and analysis methodology to understand the issue of the formation of this pragmatic trend by

* **المؤلف المرسل**

linking it to the role of Analytical philosophy and pragmatic philosophy and its endeavor to approach the word and its verbal meaning We also try to know their effective role, in discourse analysis within the linguistic achievement, and all the contexts and knowledge surrounding it which contributed to the development of the modern linguistic lesson.

***Key words**: language, linguistics, pragmatics, discourse analysis, references.*

مقدمة:

لقد شكلت اللغة محور الدرس اللساني منذ بداية الاهتمام الفعلي بمقاربة تقنيات التواصل اللغوي من خلال البحث عن وظائف اللغة والعلاقات الداخلية لكل نظام لغوي، فاللسانيات مبحث لغوي تطوري استند على نظريات ومدارس تعنى بفهم تشكّلات اللغة ومدى ارتباطها بطرق تعليم المتعلم، وقد مثلت أعمال سوسير مربط الفرس لعدول الدرس اللغوي عن الدراسات التاريخية حيث اتجهت المقاربة السوسيرية إلى دراسة وتحليل اللغة من خلال منهجية وصفية آنية تؤمن بوحدة اللغة داخل مستوياتها الداخلية، الأمر الذي أحدث زلزالا في الساحة اللغوية وحتى النقدية نظير الانقلاب اللغوي الذي أحدثته الدراسات البنيوية التي قدّمها سوسير، فصارت اللغة نظاما من العلامات اللغوية وغير اللغوية تدرس في زمان خاص بعيدا عن التحليل التاريخي المقارن، ليشهد بذلك الدرس اللغوي تطورا لا نظير له نتيجة بروز عدة مدارس ومناهج تسعى لمساءلة الظاهرة اللغوية داخل الخطاب الأدبي من زوايا مختلفة، وتعدّ اللسانيات التداولية من أبرز الاتجاهات التي بزغ نورها في سماء الدرس اللساني الحديث نظير ما قدمته من إضاءات ومقاربات حديثة تخالف التوجهات اللسانية الكلاسكية، فتقارب اللغة الخاصة بالخطاب الأدبي من خلال ردّها لمقام استعمالها في سياقات متباينة بحسب أهداف وغايات المتكلمين وأحوال المخاطبين أثناء إنجاز الفعل اللغوي وطبعا الدارس في متون هذا الاتجاه يجد مظاهر التعالق والارتباط بمختلف المعارف الفلسفية والفكرية التي أسهمت في تشكيل الدرس التداولي، انطلاقا مما سبق سنسعى في هذه الدراسة لمعرفة وفهم منطلقات الاتجاه التداولي وربطه بمختلف الروافد والمرجعيات التي تأسس عليها منطلقين بذلك من إشكالية

محورية تتأسس على إبراز دور الآليات التداولية وتحليل الخطاب في فهم استعمالات اللغة ومدى تطبيقها على مختلف الخطابات؟ وتحت هذه الإشكالية تنبثق أسئلة عديدة منها : ما العلاقة بين التداولية وتحليل الخطاب ؟ وكيف نشأ الخطاب التداولي في الدرس اللساني الحديث؟ وما هي المرجعيات الفلسفية والمعرفية التي أسهمت في تشكل الاتجاه التداولي؟ هي أسئلة كثيرة سنحاول الإجابة عنها في هذه الرحلة البحثية بعيون التحليل والوصف لفهم تشكلات المنجز التداولي في الدرس اللساني الحديث، ومعرفة كيفية مقاربة الخطاب الأدبي وفق آليات خطابية تداولية تخالف التصورات اللسانية السابقة.

1. التداولية منجز لساني قراءة في المفهوم

إن التداولية Délibérant مبحث لساني حديث يعنى بطرق تداول واستعمال خاصية الكلام في ظروف وسياقات مقامية متعددة، حيث يحظى كلّ طرف في العملية الخطابية بدرجة من الوعي اللغوي، ومقاصد خطابية يتأسس عليها محور الخطاب التواصلي، فاللغة " نسق من الأصوات والعبارات التي تمثل تفاعل الفرد مع البيئة التي عاش فيها في ظروف مختلفة " (بوقرة، 2005، صفحة 166) أي أنّ فكرة التواصل هي غاية العملية الخطابية بين المخاطبين لتحقيق عملية الإفهام، لأن حدوث خلل أو شرخ في المقصدية الكلامية بين أطراف التواصل ما يؤدي بالضرورة لفشل غاية التواصل لدى المخاطب، فمخالفة السياق والمقام اللغوي يحدث خللا في عمليات التواصل بين مستعملي اللغة، ما جعل المقام في عرف الخطاب التداولي نقطة جوهرية لمعرفة وكشف أحوال المتكلمين، فيتحرى مطابقة خاصية الكلام لنجاح عملية التخاطب بين الطرفين، وهذا ما يسعى عليه التصور التداولي في ربط اللغة بسياقها الإنتاجي، ومحاولة فهم مدى تحقق التطابق والانسجام بين أجزاء اللغة من خلال ربطها بأطرها الثقافية والمرجعية تسهيلا لفاعلية الخطاب اللساني ونجاحه بصورة تعكس تناسق الوحدات اللغوية بين جمهور المخاطبين، فالتداولية ورغم تداخلها مع عدة علوم ومعارف كعلم النفس، البلاغة، الفلسفة، علم

الاجتماع إلا أنّها تمكنت من تكوين نظرية لسانية جمعت بين ميدان اللسان ونظرياته وحتى مناهج النقد، حتى قيل أنّ التداولية مبحث نقدي أكثر ما هي لساني وهذا يعود لطبيعة التحليل التداولي الذي يسعى لفك خيوط الخطاب الأدبي من خلال تحديد السياق والوظيفة اللغوية لكل عنصر لغوي داخل العملية النصية لكل خطاب.

فصارت التداولية مفهوما بارزا في صلب الدراسات الحديثة التي تسعى إلى مقاربة الخطاب وفق آليات تداولية، ولعلّ من أشهر التعريفات التي قيلت حول التداولية ما جاء به " **تشالز موريس**" (Charles Morris) حين ربط الفكر التداولي بمنهج السيميائية التي تعتبر اللغة مجموعة من العلامات التي تملك منطقها التداولي الاشاري حيث يقول" أنها جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامة ومستعمليها" (حمداوي، دت، صفحة 55) وتفسير ذلك أن الحدث اللغوي معطى علاماتي يحدد من خلال صور العلامات وطرق تطبيقها على مستعمليها، فاللغة حسب "موريس" علامة ذات توجه سيميائي يحدد بطريقة تذويب وتوظيف جملة من العلامات في فضاءات لغوية مختلفة، فالتداولية وسّعت من دائرة التحليل وتجاوزت منطلقات الجملة، واتجهت صوب الخطاب والنّص فصبغت بطابع النقد والتحليل اللساني القائم على مقاربة النص بكونه خطابا وملفوظا لغويا تفاعليا تحكمه بنية كلية الأجزاء باختلافها شعرا أو نثرا، وجلّ هذه الأجزاء الملفوظية تسعى إلى تحقيق الغاية الوظيفية والسياق المقامي مرورا بالأداء الانجازي للغة (بوقرة، 2005، صفحة167).

ما يعني أنّ التداولية منهج لساني تداولي يفسر الخطاب في ضوء مرجعيات وسياقات استعمال اللغة لتحقيق وظائف ومقاصد بين أطراف الخطاب وهذا ما أقرّه "**فرانسوا ريكاناتي**" (François récanati) لحظة تعريفه للتداولية بكونها "استعمال اللغة في الخطاب بإبراز مقدرتها الخطابية فهي تهتم بالمعنى كالدلالة لكن حسب السياق أو بمراعاة المقام، أي لا يتحدد المعنى إلا من خلال الاستعمال"4، (بوقرة، 2005، صفحة167)

فالتصورات التداولية تتقصى المقدرة البلاغية والخطابية الحاضرة داخل العبارة اللغوية انطلاقا من أبعادها الخطابية والتواصلية و التفاعلية والسياقية، فاللغة في عرف التداولية ذات معطى سياقي وظائفي يرتبط بماهية استعمال اللغة بين عناصر الخطاب اللغوي أو غير اللغوي، فقيمة اللغة لا تتحدد في ألفاظها الفنية أو في كثرتها بل من خلال التطابق والتلاؤم مع السياق الخارجي للمتلقي، وهذا الذي يضمن نجاح العملية الخطابية، كما يعرّفها صلاح فضل في كتابه "بلاغة الخطاب والنّص" باعتبارها المبحث الذي يعنى بالشروط والقواعد اللازمة الملائمة بين أفعال القول ومقتضيات المواقف الخاصة به أي العلاقة بين النّص والسياق" (فضل، 1996، صفحة24.25)

وهنا يبيّن لنا الناقد (صلاح فضل) شرط مطابقة القول لسياقات المتحدثين وضرورة مناسبة النّص للسياق اللغوي والاجتماعي والثقافي، فالنّص الذي يغرد خارج سرب المقام الخطابي لا ينجح ويفشل في تحقيق المقصدية الخطابية التي تتحقق إما بين عناصر الخطاب الملفوظ أو الخطاب النصي، فسياق الخطاب أو النص نسق يستلزم حضوره في ذات كل مخاطب لأن الخطاب الناجح هو الذي يحترم خصوصيات السياق الذي تشكل ونشأ فيه الخطاب، والتداولية في أبسط مفاهيمها وفي صورة موجزة تمثل اتجاها حديثا في الثقافة الغربية عامة والأمريكية خصوصا عني في بداياته بالعلامات والإشارات التي تتم بين عناصر المتكلمين، ليتطور بعد ذلك ويتخلص من قيود التصورات الدراسات الفونولوجية والوظيفية والتاريخية، فكانت التداولية رحلة نصية في صلب اللغة وبحثا في مضامينها وسياقاتها التي تتفاعل وترتبط بسياق المتلقي ومدى مطابقة الفعل اللغوي لسياق إنتاج الخطاب.

2. مرجعيات التشكل المعرفي والفلسفي للتداولية

لا وجود لنص تولد من فراغ و كذلك المعرفة الإنسانية سجلّ ثقافي وتاريخي يحاكي امتداد المعارف وتبادل الأفكار بين مختلف النظريات المعرفية وسبل التفكير

الفلسفي الذي كان يسود في المجتمعات القديمة، فكان الإنسان نقطة التحليل في مختلف المناهج والرؤى الفكرية التي تقارب الفكر الوجودي باختلاف نظرياته وتعدد سياقاته، وكعادة كل نظرية أو منهج يبرز في الأفق البعيد المرجع التاريخي لتشكل أي ظاهرة معرفية تتوسط المجتمع في مختلف المعارف، فالناظر للبعد التداولي كونه مبحث حداثي من إفرازات اللسانيات ما بعد البنيوية عني بالبحث في سياق استعمال اللغة وتبيان دورها الوظائفي و المقصدي - على اعتبار أنّ لكل خطاب أو نص غاية مقصدية تتشكل لدى المبدع الأول لفعل الخطاب- يجد العديد من المرجعيات التي قدمت دورا فاعلا لبزوغ التصورات التداولية في ميدان علوم اللسان وتحليل الخطاب .

1.2 الفلسفة التحليلية ومضة تداولية

كيف نفكر ونتواصل في حاضنة الحياة هذه العبارة الفلسفية كانت انطلاقة المعرفة والتفكير الإنساني لدى المجتمعات القديمة، فكانت الفلسفة مصباح المعرفة والخيط الذي تتمسك به جلّ النظريات والمقاربات المعرفية، فلم ينأى أي اتجاه معرفي عن دور الفلسفة في تثمين وتكوين المعارف، ولو تتبعنا في مراحل تاريخية بدايات الدرس التداولي تستوقفنا خيوط الفلسفة التحليلية في عملية المنطق الإنساني، حيث كانت أكبر الاتجاهات المعرفية التي ساهمت في تشكل الدرس التداولي، أين بحثت في دور اللغة ضمن التفكير المنطقي وبيان طرق تحليلها من خلال تفتيت المشكلات الفلسفية إلى أجزاء صغيرة ومعالجتها جزئيا من خلال تحديد العلاقات الكائنة في هذه الصياغات اللغوية، ومعنى ذلك أن قوام التفكير الفلسفي التحليلي قائم على فهم اللغة من خلال تحليل الجزئيات المصغرة داخل الفكرة وفق منهجية تحليلية موضحة مع مراعاة الدقة والوضوح في تفسير الشكل اللغوي، وكان من أهم رواد التفكير الفلسفي التحليلي والمدافع عنه "جورج مور" (George moore) و"براتراند رسل" (Bertrand Russell") و"لو فيج فتجنتشتاين" (Léo Vig wittgenstein) "أوستين" (Austin) و"سيورل" (Sewerl) "غوتلب فريجه" (Gottlib Frege)

وقد وضع هذا الأخير ضوابط الفلسفة التحليلية من خلال كتابه المشهور"**علم الحساب**" حينما تحدث عن مفهومي الاسم المحمول واسم العلم فقام بتحليلها لغويا وتوصل إلى ضرورة التلاؤم والمطابقة بينهما. (موساوي، 2007، صفحة 54.59)

وقد بيّن "جورج ادوارد مور" قيمة اللغة العادية بكونها وسيلة لفهم وتحليل القضايا الفلسفية مركزا في مقاربته على تحليل الألفاظ والعبارات اللغوية، ثم قام بتقديم مقارنة للمفاهيم الفلسفية من خلال الاعتماد على مبدأ التمييز والتقسيم وصولا إلى استخلاص السمات المشتركة التي تتداخل بين اللغة العادية واللغة العلمية معطيا الأهمية لطبيعة اللغة البسيطة العادية لفهم وحدات الوجود، لأن عباراتها غير مصطنعة بل تتحرى واقعية الوجود دون تجاوز حدود المنطق الوجودي، وفي مقابل ذلك سار "راسل" في عدوله ورفضه للفلسفة المثالية نحو أسس الفلسفة التحليلية كونها ذات توجه منطقي علمي قادر على تفسير وتحليل القضايا الفلسفية، فحاول الجمع بين المنهج التجريبي والعقلي وسعى من خلال ما قدم إلى بلورة وإضفاء مسحة العلمية على روح الفلسفة بعيدا عن التصورات الغيبية التي تقابل بين الذات وعالم المثل ، فصدق الألفاظ ووضوح القضية هو راهن التحليل الفلسفي من خلال الاعتماد على دور اللغة المصطنعة التي تحتوي على ألفاظ متميزة (عبد الحق، 1993، صفحة، 23.24).

ويذهب "فتجنشتاين" (Léo Vig Wittgenstein) في رؤية مغايرة لتصور"راسل" حيث يرى أن أساس التفكير الفلسفي لفهم أي قضية معرفية يتوجب دراسة ومقاربة اللغة العادية في ذات الإنسان العادي، ومدى ارتباطها بالبيئة التي عاش فيها أين تحدث عملية التأثر والتأثير، فالإنسان ليست محصلة لغة اصطناعية بل نتاج لغة عادية تولدت من صلب جماعة لغوية عادية، فاللغة حسبه لا تخضع لحسابات منطقية ولا تقتصر على معنى واحد متفرد، بل تخضع للاختلاف في طرق استعمالها أي أنّها ذات طاقة إنتاجية لا نهائية تتباين بحسب طرق استخدامها في حياة الإنسان، ما يجسّد أن التحليل الفلسفي في

عمق هذه الفلسفة يدحض النظرة المثالية والتصويرية، ويؤمن بقوام المنطق في تحليل لغة الإنسان الطبيعي، لأنّ طريقة تلفظ الأفعال ترتبط بأشكال الحياة التي نمارسها في فضاءات تعبيرية مختلفة تنتج بين فئة المتكلمين وارتباطهم بالفعل السياقي ضمن المجموعة الاجتماعية (صحرواي، 2008، صفحة 23.24).

وقد ساهمت وأثرت أفكار "فتجنشتاين" في فلاسفة مدرسة أكسفورد أمثال"جلبرت رايل" (Gelberte Rail) و"جون أوستين" وتلميذه "سيورل" حيث أسهموا في بلورة وتشكيل الدرس التداولي، فكانت اللغة عندهم وعاء البحث وخيطا رفيعا في ميدان الفلسفة التحليلية التي توزعت إلى ثلاثة اتجاهات رئيسية هي :الاتجاه الوصفي المنطقي واتجاه الظاهرتية اللغوية، وفلسفة اللغة العادية، أمّا الاتجاه الأول فقد تبلور في العشرينيات مع مجموعة من الفلاسفة الذين قاموا بتشكيل مدرسة بمسمى" حلقة فيينا" كان من أبرزها " مورتس شليك" و "رودولف كارناب" و "هاربرت فايجل" و"فيكتور كرافت" حيث تأثروا بكتابات "فريجه" وبحثوا في حقيقة اللغة ووظيفتها، فميزوا بين نوعين من الوظائف الوظيفة المعرفية والوظيفة الانفعالية، أمّا الأولى فهي تشير إلى لغة الموجودات وطرق استخدامها، أمّا الثانية تستعمل لإبراز المشاعر والانفعالات واللغة المناسبة للتحليل، وحسب رأيهم فإنّ اللغة المثالية هي التي تمثل اللغة المنطقية ، ما يعني أنّهم أقصوا اللغة العادية وحجتهم في ذلك أنّها تعيق الفكر ولا تنتج الأفكار وتحدث لهم أخطاء نظرا لغموضها (عشير، 2003، صفحة 69.70)

أمّا الاتجاه الثاني ممثلا في "**الظاهرتية اللغوية**" التي تهتم بدراسة اللغة في ضوء سياقها الوجودي بحثا عن تشكلات البعد التأثيري بين عناصر الخطاب، ومن أبرز روادها نجد الفيلسوف الألماني" **ادم وند هرسرل**" (Adam Wend Herser) حيث تبحث في كيفية تشكيل علم كلّي قبلي تنطوي تحته جميع العلوم الجزئية، أي أنّه يهدف إلى فهم المضامين العقلية وكيفية التوصل لفكرة القصدية أو ما يسمّى بالوعي الإدراكي أو الارتباط المتبادل

القصدي للهدف الذي يمثل موضع الوعي الإدراكي، وقد حددها "هرسل" في ثلاث مكونات أساسية تكوين الشيء، وتكوين الفضاء، وتكوين الزمان وقد توصل هرسل إلى أن بنية الفعل القصدي تتميز بقطبين هما: **النؤويس والنوثيما** و الأول معناه الإطار الذاتي لبنية الفعل القصدي وغايته تجاه الموضوع المحتمل، أمّا الثاني يقصد به الجانب الموضوعي للفعل القصدي من خلال إبراز ماهية الموضوع المحدد، وقد ركز هرسل على الوظيفة التواصلية التي يصنعها المتكلم باعتباره مؤسسا لها في أفعال عقلية محددة تحمل مقاصده وأهدافه في اشتراك المتلقي في هذا المعنى، ورغم ما قيل إلا أنّ هذا التوجه لم يركز على البعد التداولي لأنها لا تعتمد على اللغة العادية وتعتبرها عنصرا سلبيا في تحليل القضايا الفلسفية (صحرواي، 2008، صفحة 23.24). بينما ركز الاتجاه الأخير - الذي يعنى بفلسفة اللغة العادية- على دور اللغة باعتبارها نتاج سلوكي إنساني ذو بعد تواصلي تفاعلي قائم بين نهج المتكلم ودور اللغة، وقد بيّن "غرايس"(Graiss) أنّ اللغة العادية ظاهرة اجتماعية سلوكية تتحدد وفق الدائرة المجتمعية ولا تخرج عن سياقاتها الاجتماعية والتاريخية التي تناسب المتلقي، فاللغة العادية في عرف هذا الاتجاه محور ومفتاح جوهري في فك شفرات التصور الفلسفي لماهية اللغة الطبيعية (الشهري، 2004، صفحة 65)، فطبيعة اللغة العادية تمثل محورا رئيسيا في التصور التداولي كونها نتاج سلوكي طبيعي يصف محددات التواصل بين الذات والمتلقي، ويعمل على بلورة منطق الأفكار بين عناصر الاتصال اللغوي، فتيمة اللغة نسق اجتماعي له مقصد وغاية تفاعلية تواصلية لعناصر الخطاب، فهذا التصور قامت واتكأت عليه الفلسفة التحليلية في فهم سبل التفكير المنطقي واعتبرته مفتاحا رمزيا لفك شفرات ومغالق البعد الفلسفي بعيدا عن متاهات التصورات الغيبية والمثالية، ففلسفة اللغة العادية كانت مثالا حيا لتحليل أجزاء التفكير الفلسفي الذي يتحرى الصدق ولا يقدم صورة مزيفة عن الواقع الوجودي، فمعيار

الصدق لا يصنع في اللغة الاصطناعية أو المثالية بل يتم في امتزاج الفكرة بالطبيعة الحية للإنسان، ومدى انسجام ظروفها المحيطة بكل قضية معرفية.

2.2 الفلسفة النفعية الأمريكية

هيمنت مبادئ الأفكار والمقترحات النفعية على مسار التفكير الفلسفي في أمريكا فظهرت الفلسفة البراغماتية (Philosophie pragmatique) كنموذج معرفي واتجاه علمي يتحرى ويعتمد التجريب والملاحظة من خلال مقاربة اللفظ ومعناه النفعي داخل السياق الخارجي بعيدا عن التوجهات النظرية، فالبراغماتية أو النفعية تمثل سلوكات تحدد معنى وحقيقة المفاهيم داخل نظام المبادئ لتحقيق مبدأ الصدق الذي تهدف إليه قوام هذه الفلسفة من خلال تحليلها للمعاني والمعتقدات ومختلف الأفكار المحيطة بالفكر الإنساني حيث تؤكد الفلسفة الأمريكية على ضرورة ربط الألفاظ بالموقف الفعلي لفعل السلوك، ولعل من أنصار هذا التوجه الفلسفي "**وليام جيمس**" (William James) و"**شارل ساندرس بيرس**" (Charles Sanders Peirce) "**جورج هربرت ميد**" (George herbet mid) و "**جون ديوي**" (John Dewey) و" **يلارد فان أورمان**" (Willard Van Orman) و"**كلارنس إرفينغ لويس**" (Clarnce lrving lewis) وهم يرون بعيون براغماتية أن القيم والأخلاق غاية نفعية يسعى لها الإنسان لتحقيها وبلوغها على اختلاف درجات الوعي البشري، ويعدّ "بيرس" مؤسس البرغماتية نظير اهتمامه بتحليل المنطق لفهم سبل الحقيقة التي لا تمثل موضوعا للاكتشاف بل يتم تشكيلها عن طريق التداخل الإنساني مع العالم الاجتماعي مركزة في ذلك على مبدأ المنفعة لتطوير القيم الاجتماعية والديمقراطية (الشهري، 2004، صفحة 66)، فالبراغماتية لا تتأسس على تصور مثالي غيبي بل تسعى لتقويض وتفكيك القيم الفكرية و الوجودية تحقيقا لمبدأ النفع والفائدة لجمهور الناس، وأيّ نسق فكري لا يعمل على تحقيق جانب نفعي في الخارطة الاجتماعية لا يمكن إتباعه أو اعتماده، فالحقيقة الحية هي التي تصنع بعدا نفعيا على مستوى القيم والأفكار والأخلاق وغير ذلك فهي مجرد

توهمات خيالية تتعدى حدود المعقول تجاه الغيبي، فالحياة نفعية بامتياز لأطراف التلاقح المعرفي بين ذوات البشر، هذا التصور استفاد منه رواد التداولية لحظة حديثهم بمنافع استعمال السياقات اللغوية، فكلما تطابق الخطاب مع الظروف الخارجية للمتلقي ساهم ذلك في تحقيق نقطة نفعية لدى المخاطب أو المتلقي قد تكون خطابا سياسيا اجتماعيا وثقافيا باختلاف درجات الوعي الإدراكي لبنية الموضوع المراد صياغته.

كما استفاد الدرس التداولي من التصور الفكري الذي وضعه"**شال موريس**" لحظة حديثة وتحليله لعمليات الكلام ومدى تأثيرها على المتلقي فموريس يمثل أول قطب فكري استعمل مصطلح التداولية بمسماه عام 1938 حينما تحدث وأوغل في تحليل الفروع الثلاثة التي يحتويها علم السيمياء من خلال عناصر النحو والتركيب فالدلالة وهي فروع ثلاثة تعنى بمسألة التحليل لفهم الظاهرة اللغوية في نطاق سياقاتها الاستعمالية والوظيفية، فاللغة حسبه نظام من العلامات التي تحمل في غاياتها الضمنية مقاصد توجّه نحو المتلقي، لأنّ اللغة الفاعلة حسب موريس طبعا لا تتم في فضاءات خارجة عن الموقف الذي حدث فيه الفعل اللغوي، بل يرتبط بسلطة السياق الخارجي وتأثيره الواضح في تشكيل وتمرير الخطابات الأدبية، وفضلا على ما ذكره موريس نجد الفيلسوف الأمريكي "بيرس" ورؤيته لنسق العلامة على كونها نظاما وجوديا يؤسس لحياة الإنسان، وقد اعتمد في طرحه على فكرة "**السيميوزيس**" (Semois) من خلال ما يتعلق بإدراك العلامة وما تعود إليه هذه العلامة ثم الأثر المحدث في التأويل، فالعلامة حسبه نتاج حياتي تدرس وفق دلالتها ومدى فاعليتها في الوسط الاجتماعي الذي تتم فيه عملية التواصل اللغوي، الأمر الذي جعلها مرجعا فلسفيا تشكلت في أحضانه التداولية وسارت في مختلف توجهاته الفكرية واللسانية (هرمان باريه، 2007، صفحة 178).

3.2 المنجز اللساني الحديث

لا يخفى على أي جاحد في ميدان اللغة إسهامات اللسانيات البنيوية بقيادة العالم السويسري "فرديناند دي سوسير" (Ferdinand de Saussure) وما قدمه من محاضرات في علم اللسانيات، الأمر الذي ساهم في إحداث تغيير في عمليات تفسير وتحليل ظاهرة اللغة حيث تم تفسيرها على كونها نظاما رمزيا يختلف عن ظاهرة الكلام الفردية، فسوسير وسع من دائرة البحث اللغوي حينما قدم تجاوزا لطروحات الدراسات الدينكرونية، ودعا لضرورة فهم اللغة في واقعها الفعلي الآني الحضوري معلنا بذلك نهاية عصر التاريخ الجامد في مقاربة اللغة، ليتوصل إلى جملة من الثنائيات التي شكلت عنصرا أساسيا في دراسته فبرزت ثنائية الدال و المدلول، اللغة والكلام، التاريخية والآنية حيث حاول سوسير تقديم قراءة لسانية آنية تسعى لتفكيك وتحليل حدود الجملة الواحدة تحليلا وصفيا آنيا، فسوسير ركز على ظاهرة اللغة وأهمل الكلام باعتباره منجزا فرديا عكس نظام اللغة الذي يرتبط بخاصية التداول الفعلي بين أفراد الجماعة الواحدة، هذه الدراسة اللسانية استثمرها الدرس التداولي في وقت لاحق لحظة مقاربتهم للغة انطلاقا من نسقها الداخلي وسياقها الخارجي، أين اعتبرت اللغة نظاما سياقيا ذو مقام وضوابط وقواعد تسهل عملية القراءة لدى المتعلم (علوي، 2014، صفحة157).

لتصبح بذلك الدراسات اللسانية التي وضعها سوسير نقطة تحول في ميدان اللغة والنقد أين اتجهت مختلف المعارف والحقول الثقافية إلى مقاربة النّص بكونه مدونة كلامية، وحدثا تواصليا تفاعليا مغلق توالدي لا يتحقق إلاّ من خلال فهم اللغة في إطار سياقاتها، ومع تطور الدراسات برزت اللسانيات ما بعد البنيوية التي حملت توجها جديدا نحو اللغة على اعتبار أنّها أداة وإنجاز لغوي يتولد من ذوات أنظمة لغوية تسير وفق نظام نحوي تحويلي انطلاقا ممّا أقرّه تشومسكي وبحثه المنهجي عن دور اللغة التوليدي في إنتاج المعنى وتذويبها في عقول المتعلمين، أيّ أنّ تصور تشومسكي (Chomsky) بني

على رفض التجربة السلوكية التي بنيت عليها البنيوية الوصفية الأمريكية من خلال دراستها لمنطلق اللغة، وقد صنّف تشومسكي النظرية التوليدية التحويلية في إطار اللسانيات التي تجاوزت مبادئ اللسانيات البنيوية فاتجهت صوب دراسة اللغة ومنهج دراسة اكتسابها لدى الطفل، فكان العقل نموذج لتوليد المعرفة داخل أحضانه فالعقل مصباح ينير دروب الاكتساب والتعلم في عرف المتعلمين، فكان هدف تشومسكي ينصب على اكتشاف القدرة الفاعلة وراء الحدث اللساني والسعي من أجل تعليله وتفسيره بدلا من وصفه وصفا شكليا (المتوكل، 1986، صفحة10)

وبخلاف نظرة تشومسكي العقلية برز اتجاه آخر يسمّى اللسانيات الوظيفية يعنى بردّ اللغة إلى جانبها الوظيفي، حيث سعى أصحاب هذه النظرية إلى تكوين نظرية تصف اللغات الطبيعية من وجهة نظر وظيفية، وهنا أعطت النظرية الوظيفية أهمية لدور اللغة الوظيفي داخل نظامها الداخلي ومدى تأثيرها على المتعلم، وفي سياق آخر برزت مدرسة براغ باعتبارها نموذج للدراسات البنيوية التي تعنى بفهم وتحليل اللغة من خلال عنصرها الوظيفي ويمثلها في ذلك "فيلام ماثيزيوس" (Mathisius) و"بدرش ترنكا" Badrash trnka و"نيكول تروتسكوي" (Nicole Trotsky) حيث بحثوا في الوجهة الوظيفية للجملة، فحلّلوا التصانيف الصوتية فميزوا بين علم الأصوات وعلم الأصوات الوظيفي، فحاولوا فهم الظاهرة اللغوية ضمن أنظمتها الداخلية، فضلا على ما ذكر نجد مدرسة لندن بقيادة" فيرث" الذي اهتم بدراسة الصوت والمعنى الحاضر داخل الإطار السياقي لظروف إنتاج الكلام (بوجادي، دت، صفحة18)، ليشهد بعد ذلك الدرس اللساني تطورا جديدا مع ميلاد اللسانيات النصية منذ الستينات من القرن الماضي بكونه اتجاها لسانيا يهتم بالنّص ويتجاوز التصورات الجملية في دراسات سابقة، فأضحى النّص نقطة التحليل والشرح في اللسانيات النصية حيث يتحددهدفها في خلق نصية وانسجام وحدات النّص، فالنّص الحقيقي لا ينتج إلا باحترام قواعد وضوابط انسجام مستوياته النصية وهذا ما دعا إليه أنصار هذا

المبحث الجديد ك"فان دايك" و"هاليداي" و"رقية حسن"حيث اعتبروا النص وحدة دلالية، والجملة ما هي إلا وسيلة يتحقق من خلالها البعد النّصي الذي يعتمد على وجود عدة وسائل لغوية تسهم في أدبية النصية (خطابي، 1991، صفحة 13.14).

فاللسانيات النصية تجاوزت حدود الجملة الواحدة وكل ما يتعلق بالتحليل الشكلي للغة أو البنى السطحية، فكان الهدف الأساس إدراك النّص إدراكا وظيفيا، وكلّ هذه النظريات والمدارس ساهمت في تشكيل وتسهيل عملية بزوغ اللسانيات التداولية التي فتحت مقاربة اللغة على مقاربة جديدة تعنى أساسا بفهم السياق المرجعي لتشكل اللغة، فاللغة ليست منتجا دلاليا أو نسقا وظيفيا أو فعلا نصيا تواصليا بل نظام ونسق رمزي لا يتحدد إلا بربطه بالواقع الاجتماعي والتاريخي، الأمر الذي منح عملية البحث والتحليل نظرة جديدة تجاوزت تصورات الجملة وسارت نحو عوالم الخطاب الأدبي بحثا عن سماته الأدبية ومدى ارتباط أجزاءه فأضحت التداولية منهجا لسانيا يقارب خصوصيات النص الأدبي ومدى تفاعلها مع السياق الذي تولدت منه.

3. التداولية وتحليل الخطاب

استثمر الأدب بمختلف نصوصه محددات وقواعد المقاربة التداولية بكل تياراتها الحجاجية، اللغوية، المنطقية، التخاطبية والتداولية والسيميائية حيث تجاوزت هذه المقاربة الحديثة سلطة الجملة الواحدة وراحت تبحث في ثنايا النصوص ودراسة طرق استعمالها داخل سياقات متعددة ، فالتداولية قدمت رؤية لسانية تخالف التصورات اللسانية الكلاسكية وتؤكد على ميزة النّص بكونه خطابا ملفوظا لغويا ذو نسق كلّي عضوي يحمل في طياته وظائف ومقاصد سياقية، لأنّ النص لم يعد علامة وبنية مغلقة أو تصورا وظيفيا بل صار النّص بنية ودلالة وتركيب ووظيفة سياقية قبل كل شيء، ما يعني أنّ السياق نقطة فاصلة في البعد التداولي، وهذه الحقيقة لا يمكن إنكارها أو إقصاءها فكل نصّ فضاء متقاطع الأجزاء متعدد التأويلات يخضع لأبعاد سياقية متناسقة، تساهم جلّها في صنع وحدة النص

التي تستوجب الانسجام والتلاؤم في نسج الخطاب الشعري أو النثري باختلاف السياق الذي أنتج فيه العمل الأدبي.

فالتداولية عالجت وقاربت الخطاب بكونه وحدة كبرى تقابل وحدة الجملة الصغرى له أهدافه ومقاصده وغاياته التي تشكّل من خلالها، فلا وجود لخطاب يوضع بهدف الإخبار ونقل الأحاديث والمعارف دون شروط سابقة، فكلّ نصّ حسب التصور التداولي عبارة عن أفعال كلامية تتم في وضع مقامي للمتلقي، فهو وحدة قارة لغوية لها دلالات بارزة ترتبط بظروف إنتاجه، و الخطاب التداولي يقوم بتوجيه سلطة الدراسة نحو فهم السياق الذي تشكل فيه وفق نظم وأطر معرفية محددة، فأوستن يرى من خلال كتابه " **نظرية أفعال الكلام**" أنّ النّص الأدبي أو الخطاب هو مجموع أفعال كلامية تتجاوز الأقوال والملفوظات إلى الفعل الانجازي والتأثير الذي يتركه ذلك المنجز، حيث تقوم نظرية أفعال الكلام حسبه على ثلاثة عناصر جوهرية أولا "فعل القول" فيقصد به سلاسة الألفاظ وتلاؤم دلالتها التي تبنى على مستويات صوتية وتركيبية ودلالية، وثانيا " الفعل المتضمن في القول" ويراد بها تحقيق الفعل المنجز داخل غرض سياقي محدد يتم بين وحدة النص ومتلقيه، وثالثا "الفعل الناتج عن القول وهي النتائج البارزة على المخاطب لحظة حدوث فعل القول وكلّ هذه العناصر تكون حاضرة داخل الفعل الكلامي (أوستين، 2006، صفحة 55)

فمهمة الدارس التداولي تكمن في اكتناه واستخلاص الأفعال الكلامية ومحاولة تصنيفها وفق أفعال انجازية وسياقية ووظيفية، فالتداولية بحث في قصدية النّص واستخلاص لتقنيات الحوار وتمثيل لأبعاد السياق الوظيفي الذي يشكل أطراف الخطاب أو النّص الأدبي الأمر الذي انعكس إيجابا على المنجز النقدي نظير تهاطل الدراسات والأبحاث لتطبيق آليات التحليل التداولي ضمن الدائرة النصية للخطاب، فكانت مبحثا لسانيا نقديا نصانّيا يهتم بتفكيك الخطاب من خلال ربطه بالوظيفة السياقية والأداء الانجازي لنسق

اللغة، فعملية تحليل وتأويل أي عمل نص لا يمكن أنّ يتم إلا بتوظيف الإحالة النصية والمقامية والسياقية، وكلّ هذا يصنع نصية الخطاب ويحقق عملية التواصل بين عناصر الخطاب ليصبح النّص ذات بعد مقصدي وحواري وبوليفونيا يرتبط بتلفظ النّص وسياقه الوظيفي، الأمر الذي منح المقاربات النقدية طاقات وتقنيات جديدة في مسائل تحليل وفك نصية الخطابات الأدبية تحقيقا لمبدأ الإقناع والتفاعل بين عناصر الخطاب.

خاتمة:

نختم تصورنا حول اللسانيات التداولية بالقول أنها رؤية جديدة لفعل اللغة الهادف لتحقيق الغاية الاقناعية والحوارية داخل الخطابات الأدبية التي تسعى لإثبات خصوصياتها الجمالية والتعبيرية ومحاولة ربط أي خطاب بظروف إنتاجها وتشكيلها ، فالنص الحقيقي هو النّص الفاعل بين عناصر الخطاب ولا يخرج عن المواقف التي نشأ في أحضانها الخطاب الأدبي، فصارت التداولية بذلك مبحثا لسانيا ونقديا برز في مراحل متقدمة من تطور الدرس اللساني الذي انتقل من نظام الجملة الواحدة ، واتجه صوب الخطاب باعتباره أكثر توسعا من الجملة، فلا يقف على بعدها الصوتي والتركيبي وإنما سار نحو الوظيفة المقصدية لتشكل الخطاب، أي أنّ كل خطاب أو نصّ لا يخرج عن سياقه الثقافي والاجتماعي لأنّه لا وجود لنصّ تحقق ونجح بعيدا عن إطاره السياقي، وطبعا مسألة تشكل هذا الاتجاه لم تنتج من فراغ بل ارتبطت بمرجعيات فلسفية وفكرية أسهمت فعليا وواقعيا في ميلاد تصور جديد يبحث في سياقات اللغة ودورها الوظيفي في تشكل الخطابات الأدبية لعلّ أهمها ما ذكر في الفلسفة التحليلية والبرغماتية وسعيهما الفعال في مقاربة وتحليل المعنى داخل القيمة اللغوية، انطلاقا من مبدأ الصدق داخل المنطلقات الفكرية والاجتماعية التي تشكل التفكير البشري من خلال العلامات اللغوية وغير اللغوية ودورها اللساني والوظيفي في خلق نصية النصوص.

قائمة المصادر والمراجع:

أحمد المتوكل (1986) دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ط1، دار الثقافة للنشر، المغرب،

أحمد خطابي (1991) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان.

أحمد موساوي (2007)، مكانة المنطق في الفلسفة التحليلية المعاصرة، دط، سلسلة دراسات منطقية، معهد المناهج، الجزائر.

بوقرة النعمان (دت)، المدارس اللسانية المعاصرة، دط، مكتبة الآداب، مصر.

جميل حمداوي (دت) التداوليات وتحليل الخطاب، دط، دار الألوكة، المغرب،

خليفة بوجادي (دت) في اللسانيات التداولية مقاربة بين التداولية والشعر دراسة تطبيقية، ط1، بيت الحكمة الجزائر.

عبد الهادي بن ظافر الشهري (2004) ، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديدة، بيروت لبنان.

عبد السلام عشير (2003)، عندما نتواصل نتغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، ط1، المغرب.

مسعود صحراوي (2008)، التداولية عند علماء العرب، ط1، دار التنوير للنشر، الجزائر.

منتصر علوي (2014)، التداوليات وتحليل الخطاب، ط1، دار كنوز المعرفة، الجزائر.

ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق (1993)، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

جون أوستين (2006) نظرية أفعال الكلام العام، ط1، تر:عبد القادر قينبي، إفريقيا الشرق، المغرب.

هرمان باريه (2007) تكوين الخطاب، فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والتداولية الحجاج، ط1، تر: صابر الحباشة، الدار المتوسطية للنشر، تونس.